الحسن البصري والحجاج (٢١-١١٠هـ) (٧٥-٩٥هـ)
اشكالية العلاقة بين الفقيه والسياسي في الفكر السياسي الإسلامي

أ. م. د. غازي حميد موسى الدوري
المديرية العامة لتربية صلاح الدين

الملخص

كانت العلاقة بين الفقيه والسياسي وستبقى تتقلب بين التوافق والاختلاف. فما أن انقضى العصر الراشدي حتى افترق الفقهاء عن الساسة فأصبحوا حكاماً على الملوك. وما برح بعض من الساسة ينظرون الى الفقهاء بعين الشك والريبة ويخشون السنتهم التي تستمد قوتها من قوة الشريعة ومكانتها في نفوس الجمهور.

وكثيراً ما وجد بعض الساسة من الحائدين عن جادة الصواب في الفقهاء مكمن الخطر الذي يهدد عروش السلاطين بوصفهم صوت الحق لكونهم مسموعي الكلمة بين الناس. وبقيت العلاقة بين الطرفين على هذا الحال نوعا ما حتى يومنا هذا، ولعل ذلك يعكس حنق بعض الساسة على الفقهاء الذين تمسكوا بدينهم وقيمهم الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الحسن البصري، الحجاج، الفقيه، الفكر السياسي.

Al Hassan Al Basri and Al Hajaj (21-110A.H) (75-95 A.H) : The Problematics of the Relationship Between the Faqih and The Politician In Islamic political thought

Assist. Prof. Dr. Ghazi Hameed Mussa Al Douri
General Directorate of Education of Saladin

Abstract

The Relationship between the faqih and the politician wavers between an agreement and disagreement, and it is as yet still so. No sooner than the Rashidi epoch did elapse than the faqihs distanced themselves from the politicians and thus kings became bound by their verdicts. Some politicians, however, looked at the faqihs with skepticism

and uncertainty, nurturing an intense fear of their diatribes their poignancy stems from sharia law and the strong appeal to their audiences.

This paper addresses this precarious relationship joining the faqihs to the politicians through an analytic and descriptive in approach. It really attempts to identify the needs of the two parties, along with the principles that govern such a relationship. This justifies the choice made of al Hassan al Basri and al Hajaj as illustrative examples. The paper also covers the ties among faqihs and politicians on the Ommayed era and the causes that motivated them.

Keywords: Al Hassan Al Basri, Al Hajaj, Faqih, Political Thought.

المقدمة:

يتناول هذا البحث اشكالية العلاقة بين الفقيه والسياسي في الفكر السياسي الإسلامي بالمنهج الوصفي والتحليلي، ويسعى الى معرفة ما يريده الفقيه من السياسي، وما يريده السياسي من الفقيه، والمبادئ الأساسية التي ترسم العلاقة بين الطرفين ومواطن الاتفاق والاختلاف بينهما. وقد تم اختيار إمام أهل البصرة الحسن البصري (٢١-١١٠هـ/٦٤١-٧٢٨م)، ووالي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٥-٩٥هـ/٦٩٤-٧١٣م) أنموذجاً لتلك العلاقة لما جرى بينهما من سجالات.

تمثلت الخطة العريضة لهذا البحث في محاور عديدة من بينها علاقة الفقهاء بالساسة في العصر الأموي وطبيعتها في تلك الحقبة واشكالية العلاقة بين الفقيه والسياسي عامة وفقيه البصرة الحسن ووالي العراق الحجاج خاصة، فضلا عن مواطن الاتفاق والاختلاف بينهما ومتى يكون الاختلاف ومتى يكون الاتفاق وأسبابه.

واجه الباحث عديد من المشاكل والصعوبات في هذا البحث كان في مقدمتها التوفيق بين روايات الاتفاق والاختلاف بين الشخصيتين، وفرز الروايات التي يمكن قبولها عن تلك التي ينبغي استبعادها. فإن أصبت فذلك من توفيق الله تعالى وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان والله المستعان.

أولاً: علاقة الفقهاء بالساسة في العصر الأموي:

ظلت العلاقة بين الفقهاء وبعض ولاة العصر الأموي تتأرجح بين القبول والموالاة وبين الرفض والمخالفة، وكان من شبه الطبيعي أن تكون العلاقة على هذا الحال بين هذين الطرفين عقب التحولات التي سادت الحياة السياسية بعد انتهاء العصر الراشدي سنة (٤١هـ / ٦٦١م). إذ كان الخلفاء والأمراء في ذلك العصر هم العلماء، وكان أغلب الصحابة علماء وأمراء في آنٍ واحد، يحكمون بالشرع، ويشرّعون بالنص والاجتهاد. ثم وقع الافتراق بين الطرفين فيما بعد، فانفرد الأمراء بالسلطة، وتشبث العلماء (الفقهاء) بالنص والرأي[١].

وعن ذلك الافتراق قال أحد فقهاء السياسة الشرعية[٢]: "كان النبي وخلفاؤه الراشدون يسوسون الناس في دينهم ودنياهم، ثم بعد ذلك تفرقت الأمور، فصار أمراء الحرب يسوسون الناس في أمور الدنيا والدين الظاهر، وشيوخ العلم والدين يسوسون الناس فيما يرجع اليهم فيه من العلم والدين". وبقي الفقهاء على الدوام يتخذون من العهد الراشدي نموذجاً ومثالاً يقاس به مستوى الأداء السياسي للحكام ومدى التزامهم بالقيم والمبادئ الإسلامية في السياسة والحكم.

ومما لا شك فيه هو أن الفقهاء لم ينظروا الى ساسة العهد الأموي بعين الكراهية أو انهم وجدوا فيهم أعداء للدين، إنما أرادوا منهم أن يكونوا كما كان عليه الخلفاء الراشدون[٣] رضي الله عنهم، يشفقون على الرعية ويحكمون فيهم بالشورى والسوية.

لهذا أنكر العلماء (الفقهاء) مظالم الحكام واستبدادهم بالرأي، وكل الذي كانوا يطلبونه منهم هو تطبيق أحكام الشرع بعيدا عن العسف والجور، وذلك من صميم واجبات الفقهاء بوصفهم القائمين على ضمير الأمة، إذ الزمهم الله تعالى أن يُبينوا للناس وجه الشرعية في نظامهم السياسي[٤] وقد بين ذلك الحسن البصري للحجاج حينما سأله عن أسباب تبرمه منه فقال له[٥]: "أخذ الله على العلماء من المواثيق ليبيننه للناس ولا يكتمونه". تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾[٦].

وبناءً على هذا يمكن القول أن ثمة خطين متلازمين طبعا العلاقة بين ممثلي السلطة الدينية من علماء وفقهاء وبين ممثلي السلطة السياسية من خلفاء وأمراء وهذان الخطان هما[٧]:

١- خط المبادئ والثوابت الأساسية المستمدة من أصول الشريعة والواجب تطبيقها واشاعتها في المجتمع الإسلامي وهي من واجبات السلطان.

٢- خط المواقف (التكتيكية) المتمثلة بالصبر على جور الأمراء وابداء النصيحة لهم، والتي تسبق الخروج على السلطة، والتأرجح ما بين التأزم والتصالح كما هي مواقف أغلب فقهاء دعاة الصبر ومنهم الحسن البصري في التعامل مع سياسيي عصره.

إن تحول السلطة الى الأمويين وتحول الخلافة الى نظام وراثي هيأ المجال لوقوع خلاف بين ممثلي الاتجاه الشرعي من الفقهاء وبين السلطة السياسية فيما يتعلق بدور الأمة وسلطتها الرقابية على أداء الساسة[٨]. وأضحت السلطة بين الحاكم والمحكوم تتراجع، ونظر كل طرف الى الآخر نظرة الخصم المتربص لا نظرة الراعي الشفيق على رعيته، وإذا ما بدا في أعمال الحاكم صلاح وإصلاح كان ينظر اليه بعين التوجس والريبة[٩] ولا سيما بعد استخدام بعض الساسة الأمويين القوة لردع معارضيهم، ونتج عن ذلك وقوع الصدامات المسلحة فأكثر الفقهاء من الطعن على بعض ولاة بني أمية[١٠].

وعن تلك الحقبة قال محمد سليم العوا[١١]: "وقد توالت عصور الإسلام وعلماؤه العاملون لا يكتمون حقاً، ولا ينصرون باطلاً، ولا يهابون ذا سلطان، بل يجهرون بآرائهم في شؤون السياسة والحكم، ذاكرين قول جابر بن عبدالله رضي الله عنه: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نضرب بهذا (يعني السيف) من عَدَلَ عن هذا (يعني المصحف)[١٢].

سَلَّ بعض الفقهاء سيوفهم ضد الحجاج والي العراق (٧٥-٩٥هـ / ٦٤٩-٧٣١م) وانخرطوا في حركة (الطامع بالسلطة) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث سنة (٨٣هـ/ ٧٠٢م) في المعركة المعروفة بـ دير الجماجم[١٣]. ورفض الحسن البصري أن يشترك في تلك المعركة وساقه ابن الأشعث عنوة فرمى بنفسه من جسر على نهر دجلة، ونجا منها، بعد أن أدرك إنّ زعمائها طلاب دنيا. أما سعيد بن جبير[١٤] فقد بيّن أسباب خروجه واشتراكه في تلك الحركة في خطبته التي ألقاها في أرض المعركة بالقول[١٥]: "قاتلوهم على جورهم في الحكم ... وتجبرهم على العباد ... واستذلالهم المسلمين". وهنا يبدو البون شاسعاً ما بين زعيم الحركة ابن الأشعث وما بين الفقهاء فإذا كان الأول مدفوعاً بحب الزعامة والرياسة، فإن الفقهاء انخرطوا في تلك الحركة لدوافع شرعية كما يرونها.

ولم يكن سعيد بن جبير الفقيه الوحيد الذي خرج في تلك المعركة بل خرج معه أغلب قُرّاء العِراقَيْن (الكوفة والبصرة) حتى بلغ عددهم خمسمائة من الفقهاء[١٦]. ومنهم عامر بن شراحيل الشعبي[١٧] (ت١٠٩هـ / ٧٢٧م) وعبدالرحمن بن أبي ليلى (ت٨٣هـ / ٧٠٢م) ومسلم بن يسار[١٨] (ت ١٠٨هـ / ٧٢٦م) وجمع آخر من ذوي الفضل والفضيلة وأصحاب المكانة والقدر حتى قيل فيهم[١٩]: "لم يخرج خارجة خير من أصحاب الجماجم".

ربما كان لثورة الفقهاء على سياسة الحجاج ما يبررها بعد أن تجاوز الحدود في العقوبة مع الرعية عامة وتعامله الفظ مع الفقهاء خاصة، وانه أحدث حوادث لم تكن قائمة في عصر الخلفاء الراشدين ولم يألفها الناس وقتئذ. قال الشعبي[٢٠]: "كان العصاة زمن الخلفاء الراشدين إذا

أخل الرجل بشعيرة نزعت عمامته وطيف به في المسجد. ولما ولي زياد بن ابيه نزع عمائم المخالفين وضربهم. ولما ولي بشر بن مروان أوقفهم على الكراسي وسمّر أيديهم بالمسامير على الجدران. ولما ولي الحجاج قال: كان أولئك يلعبون، من أخل بشعيرة من شعائر الإسلام ضربت عنقه. لذا كان الناس زمانه إذا اصبحوا يسأل بعضهم بعضاً من قتل البارحة، ومن جُلد؟. ولما ولي عمر بن عبد العزيز كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن، وكم وردك، ومتى تختم القرآن"[٢١]؟

وجد الفقهاء في تلك الممارسات قسوة مفرطة تأخذ بصاحبها الى مهاوي الجور والفسوق. وما ينبغي لفاسق أن يترك سُدىً. لذا قال الحسن البصري[٢٢]: "مصارعة الفاسق قربان الى الله". وربما عدّ الحجاج منهم، إذ قيل انه كانت له مناكير كثيرة مع فقهاء عصره، حينما تجاوز على الصحابي عبدالله بن عمر (ت٧٣هـ / ٦٩٢م) رضي الله عنهما وشتمه وتوعده بالويل والثبور[٢٣] خَتَمَ أعناق الصحابة أنس بن مالك (ت٩٣هـ/٧١١م) خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصحابي سهيل بن سعيد بن مالك الأنصاري رضي الله عنه آخر الصحابة موتاً في المدينة (ت٩١هـ/ ٧٠٩م)، خَتَمَ ويد جابر بن عبدالله[٢٤] (ت٧٨هـ / ٦٩٧م) ، وخَتَمَ يد المفسر الفقيه محمد بن سيرين[٢٥] وضرب الفقيه عبدالرحمن بن أبي ليلى حتى اسود وجهه وأقامه في باب المسجد [٢٦]، وتوّجها بقتل الفقيه التابعي سعيد بن جبير [٢٧].

ولعل تلك الممارسات وما رافقها من افراط في العقوبة والتجاوز على الصحابة رضي الله عنهم هي التي حملت فقهاء البصرة واليمن على التصريح علناً بموبقات الحجاج. قال الحسن البصري[٢٨]: "تشبه زياد بن أبيه بعمر وأفرط، وتشبه الحجاج بزياد فاهلك الناس". وقال طاووس بن كيسان فقيه اليمن[٢٩] (ت١٠٥هـ/ ٧٢٣م): "عجبت لإخواننا من أهل العراق يسمون الحجاج مؤمناً".

إن ما تقدم يمثل حقبة قصيرة من عمر الزمن وحوادث السياسة والتاريخ، لا يتجاوز عمرها عقدين وهي فترة حكم الحجاج وولايته (٧٥-٩٥هـ / ٦٩٤-٧١٣م) وعلى الرغم مما قيل في الحجاج فهنالك من الباحثين من يَعُدّه رجل دولة، لأنه أدَّبَ العُصاة، وأذل العتاة، ووطد أُمور البلاد بسياسته الناجحة، وانه مفترى عليه[٣٠]، حينما عدّه الناس رمزاً للظلم والطغيان. وأياً كانت الحقيقة فلا يجوز لأي باحث أن يعمم تلك الحقبة على العصر الأموي بأسره من خلال زياد بن أبيه أو الحجاج.

كان الوجه الآخر للحوادث يتمثل في قبول أغلب الفقهاء للحكم الأموي وأفتوا بشرعيته، ودخلوا أغلبهم في الطاعة واعطوا لهم البيعة[٣١]. وقد بين ذلك ابن كثير بقوله[٣٢]: "كانت سوق

الجهاد قائمة في بني أمية، ليس لهم شغل إلا ذلك، قد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وبرها وبحرها وقد أذلوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعباً، لا يتوجه المسلمون الى قطر من الأقطار إلا أخذوه، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين".

ثانياً: العلاقة بين الحسن والحجاج:

ولي الحجاج بن يوسف الثقفي العراق سنة (٧٥هـ/ ٦٩٤م) وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وبقي في الولاية عشرون سنة[٣٣]. وكان عمر الحسن البصري عند مَقدم الحجاج الى العراق أربعاً وخمسين ربيعاً[٣٤] . ويقيناً انه كان وهو في ذلك السن مرموق المكانة مسموع الكلمة بين أهالي البصرة، حتى قيل فيه وقتئذ أنه كان " فصيح إذا لفظ، نصيح إذا وعظ"[٣٥] .

وبغية اعطاء صورة متكاملة عما كانت عليه العلاقة بين الحسن (الفقيه) والحجاج (السياسي) لا بد من تبيان ماهية العلاقة بين الطرفين، فضلاً عن طبيعة العلاقة بين الرجلين بشقيها السلبي والايجابي ومواطن الاتفاق والاختلاف بينهما.

١ – ماهية العلاقة:

كثيرة هي الروايات التي تتحدث عن العلاقة بين الحسن البصري والحجاج، ولكثرتها بات من الصعوبة بمكان الحكم على ماهية العلاقة وطبيعتها بين الطرفين. فمرة تصور الرجلين وكأنهما عدوين لدودين، ومرة وكأنهما صديقين حميمين. والحق أن الحسن والحجاج كانا يمثلان قوتين متناقضتين في الميول والاتجاهات[٣٦] فأحدهما كان يمثل الجانب الديني (الشريعة) والآخر كان يمثل الجانب الدنيوي (السياسة). والحسن ما برح يُزَهّدُ الناس بالدنيا ويرغبهم بالآخرة، ومنهم الأمراء والولاة. ولنتأمل في شعره الذي ينعى فيه السلطة والصولجان والسيف والفرسان إذ يقول[٣٧]:

يا فارساً ترهب الفرسان صولتـــه أما علمت بأن النفس تفتـــرس
يا راكب الفرس السامي بغرتـــهِ ولابس السيف يحكي لونه القبس
لا أنت تبقى على سيف ولا فرس وليس يبقى عليك السيف والفرس

إنّ ما أخبر به عبد الله بن المبارك عن سالم المكّي عن الحسن البصري يمكن أن يبيّن بوضوح أهمية الجانب الديني (الشريعة) في سلوك الإنسان سواء أكان ذلك الإنسان سياسياً أو أحد أفراد الرعية، إذ يقول الحسن[٣٨]: "من أحب أن يعلم ما هو فليعرض نفسه على القرآن" وهو بذلك ينبّه إلى أهمية الأحكام الشرعية في سياسة الرعية، ذلك إنّ من أسمى واجبات الإمام أو

الوالي هو أن " يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[٣٩].

شدد فقهاء الأحكام السلطانية على دور الدين في رياسة الأمة لما له من أثر في اصلاح سرائر القلوب والحد من ارتكاب الذنوب، إذ أن تأسيس المُلك القائم على الأساس الشرعي المنضبط بقوانينها (الشريعة) يكون "أثبتها قاعدة و أدومها مدة وأخلصها طاعة". أما إذا قام المُلك على القوة صار مُلك قهر وظلم، فتهلك به الرعية وتخرب به البلاد[٤٠].

وعند تتبع الروايات التي تتناول الحسن والحجاج ودوافعها نجدها تتمحور في الاتجاهات الآتية:

أ- صورة للعلاقة بين الإيمان والعصيان (الفسوق) والحق والباطل والعدل والظلم.

ب-ثورة عراقية ضد العناصر الشامية التي سخرها الحجاج لقمع أهل العراق، وهي تمثل امتداداً واقعياً لأزمة الثقة المستديمة بين البلدين[٤١].

ت-تعبير عن موقف أهل القدر(حرية الإنسان وإرادته) وبين عقيدة الجبر الأموية[٤٢].

وفي أدناه تأصيل لتلك المحاور:

ــ فيما يتعلق بالعلاقة بين الإيمان والعصيان، فقد دأب الحسن على انكار سياسة الحجاج وبطشهَ وتناقضه بين القول والعمل[٤٣] فهو من جهة يتلو كتاب الله ويعظ وعظ الأزارقة ومن جهة أخرى يبطش بطش الجبارين[٤٤] وهذا ما لا يستقيم إذا ما عرض على موازين العدل والإيمان. وربما وجد الحسن في الحجاج رأساً في الباطل، إذ سُئِل عن المُتكّبر فقال[٤٥]: "يملخ في الباطل ملخاً، يقول ها أنا ذا فاعرفوني. قد عرفناك يا أحمق. مَقَتَك الله ومَقَتَك الصالحون".

وقيل له: كيف لقيت الولاة يا أبا سعيد؟ قال[٤٦]: "لقيتهم يبنون في كل ريع آية يعبثون ويتخذون مصانع لعلهم يخلدون وإذا بطشوا بطشوا جبارين"[٤٧].

آمن الحسن أشد الإيمان أن الصراع بين الإيمان والعصيان، و الحق والباطل، والعدل والظلم تحدده ثلاثة محددات أخذها الله تعالى على الأمراء والولاة. فمن أوفى منهم بعهد الله نجا، ومن قصر هلك، أخذ عليهم ألّا يتبعوا الهوا، وألّا يخشوا الناس ويخشونه سبحانه وألّا يشتروا بآياته ثمناً قليلاً[٤٨].

ويبدو أن الحسن وجد في سياسة الحجاج وما رافقها من شدة وقسوة فرضتها حوادث السياسة وقتئذ لغرض ضبط الأمور وحماية الثغور ما يتعارض مع الروح الإسلامية، فقد شاهد الحسن بأم عينيه قسوة الحجاج وإسرافه في العقوبة، وهذه الظاهرة حظيت بقدر كبير من الإدانة والتجريم والتحريم في القرآن والسنة ويطلق عليهما في عصرنا الحديث تسمية الاستبداد السياسي.

وبعبارة فهمي هويدي[٤٩] "عندما تتسلل جرثومة الظلم الى السلطة... فذلك ايذان بانهيار المجتمع وسقوطه". وقد أكد ابن خلدون[٥٠] على مبدأ التلازم بين الظلم وبين خراب الأوطان فخصص الفصل الرابع والأربعين في مقدمته بعنوان "في ان الظلم مؤذن بخراب العمران". لهذا وقف الحسن معارضاً بشدة لتلك السياسات. بعد أن وجد الحجاج وهو يأخذ الرعية بالشدة، فوقف معارضاً لذلك، حرصاً منه على العمران والأوطان.

فهذا رجل كبير يشكو للحسن سوء حاله من جور الحجاج الذي كلفه أن يحضر فرساً وبغلاً وفسطاطاً لغزوته وليس له من العطاء سوى ثلاثمائة درهم مع كثرة العيال فقال له الحسن[٥١]: "مالهم قاتلهم الله؟ اتخذوا عباد الله خولاً ومال الله دولاً، وقتلوا الناس على الدينار والدرهم، فاذا أغزا عدو الله (يعني الحجاج) غزا في الفساطيط الهبابة، وعلى البغال السباقة، وإذا أغزا أخاه أغزاه طاوياً راجلاً".

إنَّ حمل الحسن على الحكام ومنهم الحجاج لا يعني انه يسعى الى الغاء دوره، إنما هو عنده من الضرورات الواجبة بعد أن فوضه الإسلام أمر الناس ليقوم فيهم (الحكم والفيء والجمعة والجهاد) لهذا قيل إنّ الدين والسلطان توأمان لا يقوم أحدهما دون الآخر. لأن الدين أُسٌ والسلطان حارس له[٥٢]، وطبقا لهذا الوصف قال الماوردي[٥٣]: "السعيد من وقى الدين بملكه ولم يوق الملك بدينه، وأحيى السنة بعدله ولم يمتها بجوره، وحرس الرعية بتدبيره ولم يضيعها بتدميره ليكون لقواعد ملكه مُوطداً ولأساس دولته مُشيداً ولأمر الله في بلاده ممتثلاً".

وكل الذي يطلبه الحسن من الحجاج وأمثاله هو إقامة شرع الله في خلقه وعلى أرضه وحفظ الأمانات والميل عن الموبقات وقد صرّح الحسن في ذلك بقوله[٥٤]: "إن قوماً غنوا في المطارف العتاق والعمائم الرقاق يطلبون الإمارات ويضيعون الأمانات، يتعرضون للبلاء وهم منه في عافية. حتى إذا أخافوا مَنْ فوقهم من أهل العفة، وظلموا مَنْ تحتهم من أهل الذمة، أهزلوا دينهم وأسمنوا براذينهم، ووسعوا دورهم، وضيقوا قبورهم. ألم ترهم قد جددوا الثياب وأخلقوا الدين؟". وعلى هذا الأساس يمكن القول ان الواقع السياسي وتأثيراته الاجتماعية والاقتصادية والفكرية كان حاضراً في علاقة الحسن مع الحجاج.

ــ أما بشأن العلاقة ما بين الشام والعراق، فقد ظلت العلاقة بينهما خاضعة لحوادث السياسة ووقائعها، وما جرى بين الطرفين من حوادث ونوابت، بما في ذلك يوم الدار الذي أستشهد فيه الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣٥هـ / ٦٥٥م)، وأيام صفين (٣٧هـ / ٦٥٧م) ويوم الحَرة (٦٣هـ / ٦٨٢م) فتأصلت في الذاكرة الجمعية للطرفين مواقف تحمل على

الفرقة والاختلاف بدلاً من التوحد والاصطفاف، واقاموا فيهم سنة فارس والروم. وما زال هذا الاختلاف باقياً الى اليوم[٥٥].

وما برحت تلك الحوادث حاضرة في سلوك الحجاج وتفكير الحسن، الأول ينال من أهل العراق بغلظته، والثاني يحمل بشدة على أهل الشام ببلاغته. سئل الحسن من أحد أصحابه: كأنك يا أبا سعيد راضٍ عن أهل الشام؟ فقال[٥٦]: "أنا راضٍ عن أهل الشام؟ قبحهم الله وبَرّحَهم، أليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلون أهله ثلاثة أيام وثلاث ليال... ولا يتناهون عن انتهاك حرمة، ثم خرجوا الى بيت الله الحرام فهدّموا الكعبة". ويعني بذلك الحجاج الذي نصب المنجنيق على الكعبة المُشرفة وقاتل عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما سنة (٧٣هـ/ ٩٦٢م).

وأورد ابن سعد[٥٧] حواراً بين سعيد أبي الحسن وأخاه الحسن البصري أيام ثورة ابن الأشعث، يعكس ذلك الحوار بوضوح مدى الحنق الذي أصاب أهل العراق على أهل الشام. إذ قيل لسعيد: "ما ظنّك بأهل الشام إذا لقيناهم غداً؟ فقلنا: والله ما خلعنا أمير المؤمنين (يعني عبد الملك بن مروان) ولا نريد خلعه، ولكننا نقمنا عليه استعمال الحجاج فاعزله عنا". ثم تكلم الحسن فقال: "أيها الناس إنه والله ما سلط الله الحجاج عليكم إلاّ عقوبة، فلا تعارضوا عقوبة الله بالسيف، ولكن عليكم بالسكينة والتضرع . . . وأما ما ذكرت من ظني بأهل الشام، فإن ظني بهم أن لو جاؤوا فألقمهم الحجاج دنياه لم يحملهم على أمر إلا ركبوه. هذا ظني بهم".

أما الحجاج فلم يتردد في إعلان بغضه من أهل العراق وآرائهم، سأل الحجاجُ الحسنَ ذات يوم[٥٨]: "ما تقول في أبي تراب؟ قال: ومن أبي تراب؟. قال: علي بن أبي طالب. قال: أقول أن الله جعله من المهتدين. فقال: هات لما تقول برهاناً. قال: إن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ ﴾[٥٩]. فكان علي بن أبي طالب أول من هدى الله مع النبي، وأول من لحق بالنبي. قال: يقول الحجاج: رأي عراقي. قال الحسن: هو ما أقول لك".

ــ أما عن موقف أهل القدر من عقيدة الجبر، فقد وقف الحسن ضد (الجبر) بوصفه (أي الحسن) أحد زعماء العدل والتوحيد (ذلك التيار الفكري الذي أظهر موقف الإسلام المؤيد لحرية الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله قبل أن تتخذه المعتزلة فيما بعد أحد مبادئها الخمسة)[٦٠]. وقد انخرط في هذا التيار أغلب المعارضين لعقيدة الجبير قبل أن يتعرض للانشقاق وتظهر منه المعتزلة[٦١].

تعرض الحسن لمخاطر جمة جراء وقوفه بالضد من (الجبر) الذي تتبناه الدولة. وكان يقضي أغلب وقته خائفاً من الساسة الذين أظهروا الجبر[٦٢]. ولا سيما بنو مروان الذين قدمّوا القضاء والقدر بوصفه جبراً مطلقا[٦٣] والحجاج في ركابهم.

ذلك إن نفي الجبر يعني تجريد السلطة من أحد أهم مبرراتها وذرائعها التي تستند عليها في تنفيذ سياساتها ولا سيما ضد معارضيها. وبهذا الصدد ذكر ابن قتيبة[٦٤] أن التابعي عطاء بن يسار (ت٩٤هـ/ ٧١٢م) ومعبد بن عبدالله بن عليم الجهني (ت٨٠هـ/ ٦٩٩م) دخلا على الحسن يسألانه ويقولان: "يا أبا سعيد، إن هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين، ويأخذون الأموال، ويفعلون ويفعلون، ويقولون: إنما تجري أعمالنا على قدر الله. فقال: كذب أعداء الله". فالمعاصي ليست من الله، ومن قال بذلك فقد جيء به يوم القيامة مسوداً وجهه[٦٥]. الأمر الذي دفع بالخليفة عبدالملك بن مروان أن يكتب له يسأله عن رأيه في القدر[٦٦].

ولان عيون العسس كانت تلاحق الحسن، ولخطورة ذلك التوجه كان يميل الى التراجع حينما يحين الصدام المباشر مع السلطة، فأقتصر على التعبير عن آرائه دون الاستعداد للتضحية بنفسه في سبيلها[٦٧]. لذا نجده يقول[٦٨]: "ليسَ للمؤمن أن يذل نفسه، إن سيوفهم (يعني الأمراء) لتسبق ألسنتنا، إذا تكلمنا قالوا بسيوفهم هكذا، ووصف بيده ضرباً".

إنّ (الأمة) و(شريعتها) كانت الأساس الذي ينطلق منه الحسن(الفقيه) في تقييم أداء الحجاج (السياسي) ومثلت جوهر العلاقة وماهيتها. فمن موجبات الخير للأمة أن يكون الأمراء حلماء، لذا نجد الحسن يقرر[٦٩]: "إذا أراد الله بقوم (الأمة) شراً جعل أمراءهم سفهاءهم وفيأهم عند بخلائهم". أما الشريعة فهي الجامعة لكل قسط ومقصد، وبها ومن خلالها تتحقق سعادة الدنيا والآخرة، ولا يمكن قيام ذلك بوجود السياسي الظالم، وعلى أساس هذا أفتى الحسن قائلاً[٧٠]: "من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحبّ أن يعصي الله تعالى في أرضه".

تلك هي العوامل التي كانت تحدد العلاقة بين الحسن الفقيه والحجاج السياسي وفي اطارها وما حولها يحدث الاتفاق والاختلاف بين الطرفين كما سيأتي ذكره.

٢- مواطن الاتفاق بين الطرفين:

على الرغم من كثرة المواقف بين الحسن والحجاج والاختلاف الكبير بينهما في مسائل جوهرية وأساسية (كما سيأتي الحديث عنها في مواضعها)، إلا أن ذلك لا يعني أن الواحد منهما لم يُبدِ إعجابه بالآخر، فثمة مواطن اتفاق وتلاق فيما بينهما ولا سيما في القرآن والمواعظ والارشاد. ولربما اجتمع الحسن والحجاج سوية على الاشتغال في علوم القرآن، فاذا كان الحسن قد ألفّ كتاباً في عدد آيات القران وآخراً في أسباب النزول[٧١]، فان الحجاج عمل على تنقيط

القرآن وتحزيبه ووضع أعشاره بأمر الخليفة عبدالملك بن مروان[٧٢]. ولا يستبعد أن يكون الحجاج قد احتاج لخبرة الحسن في ذلك العمل الضخم فاستعان به كونه أحد الفقهاء العارفين بالقرآن وعلومه.

ومما ينبغي ذكره أن الحجاج كان حافظاً للقرآن، يقرأه كل ليلة، فضلاً عن ذلك فإنه دأب على جمع الحفاظ والقّراء للتذاكر معهم في القرآن وأجزائه، ولعل ذلك الصنيع منه هو الذي حمل الخليفة عمر بن عبد العزيز على القول: "ما حسدت الحجاج على شيء، حسدي إياه على حبه القرآن، وإعطائه أهله عليه"[٧٣].

ومن الشواهد الحيّة على حُب الحجاج للقرآن والعمل به، ما رواه أحد الشهود بالقول[٧٤]:كنت واقفاً على رأس الحجاج، حين أُتي بالأسرى من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث، فقتل الحجاج بعضهم، حتى قدم إليه رجل من كندة فقال: "يا حجاج لا جازاك الله عن السنّة والكرم خيراً، قال: ولم ذلك! قال: لأن الله تعالى قال في حق الذين كفروا : ﴿ فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء ﴾[٧٥]، فوالله: ما مننت، ولا فديت، وقد قال شاعركم فيما وصف به قومه من مكارم الأخلاق:

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم، إذا أثقل الأعناق حمل المغارم. فقال الحجاج: أف لهذه الجيَّف! أما كان فيهم من يحسن مثل هذا الكلام؟ خلّوا سبيل من بقي"، فخلّى يومئذ عن بقية الأسرى وهم زهاء ألفين أسير[٧٦]، بعد أن حضر عنده مّن يذّكره بحكم القرآن في هذا الأمر.

ويؤكد أحد الباحثين المحدثين[٧٧] أن الحجاج كان متديناً الى حد كبير وكان مستقيماً، عفيفاً عن أموال الناس و أعراضهم. وقال ابن كثير[٧٨] عنه: "كان يتدين بترك المسكر، وكان يكثر تلاوة القرآن ويتجنب المحارم، ولم يشهد عنه شيء من التلطخ بالفروج ... وكان حريصاً على الجهاد وفتح البلاد، وكان فيه سماحة بإعطاء المال لأهل القرآن فكان يعطي على القرآن كثيراً". ومن جهاده أنه نجح في فتح السند وخراسان وبلاد ما وراء النهر وأجزاء من بلاد الصين.

ومن جانب آخر ما انفك الحجاج في خطبه يذكّر الناس عقب انتهاء كل رمضان بوجوب استمرار طاعة الله تعالى، وعدم الاقتصار على الطاعة في شهر الصوم حتى يعتادوا ترويض النفوس على الخير[٧٩]. قال مالك بن دينار[٨٠] (ت١٢٧هـ/ ٧٤٤م): "غدوت للجمعة فجلست قريباً من المنبر فصعد الحجاج ثم قال: "أمرؤ حاسب نفسه، امرؤ راقب ربه، امرؤ زور عمله، أُمرؤ فكر فيما يقرؤه غداً في صحيفته ويراه في ميزانه، أُمرؤ كان عند همه آمراً وعند هواه زاجراً، أُمرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جمله فإن قاده إلى حق تبعه وإن قاده إلى معصية الله كفه، إننا والله ما خلقنا للفناء، وإنما خلقنا للبقاء، وإنما ننتقل من دار إلى دار"

وذات يوم تغدى الحجاج مع الوليد بن عبد الملك، فدعاه الوليد الى شرب النبيذ فرفض ذلك مبيناً أنه يمنع أهل العراق وأهل عمله عن ذلك، ويكره أن يخالف قول نبي الله شعيب عليه السلام، واستشهد بالآية الكريمة[٨١] ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾[٨٢].

لابد لهذه المواقف الإيمانية أن تترك أثرها في نفس الحسن وتأثيرها على علاقة الحسن الفقيه بالحجاج السياسي، وقد ساهمت في تطوير العلاقة أو أسست لمواطن الاتفاق بينهما، وفي أدناه عرض لهذه المواطن بين الطرفين:

ذكر المدائني عن أبي عبدالله الثقفي عن عمه أنه قال[٨٣]: سمعت الحسن البصري يقول: "وقذتني (أي كسرتني وهدَّتني) كلمة سمعتها من الحجاج. فقال إنَّ كلام الحجاج ليوقذك؟ فقال نعم سمعته يقول على هذه الأعواد إنّ أمرئاً ذهب ساعة من عمره في غير ما خلق له لحري أن تطول عليها حسرته الى يوم القيامة".

كان الحسن ينصف الحجاج، ولم يعرف عنه انه تجنى عليه او أبخسه حقه، ولما سئل عنه قال[٨٤]: "يتلوا كتاب الله، ويعظ وعظ الأبرار، ويطعم الطعام، ويؤثر الصدق". وسمع الحسن الحجاج يخطب على منبر البصرة ويقول[٨٥]: "أيها الناس إنَّ الله تبارك وتعالى كتب على الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء، فلا يغرنكم شاهد الدنيا على غائب الآخرة، واقهروا طول الأمل بقصر الأجل، فقال الحسن: عجباً للحجاج كيف عرف ما عرف، وصُرف عن الحق فانصرف".

أما الحجاج فقد كان هو الآخر معجباً بدروس الحسن ومجالسه، وما برح يتردد على حلقاته ويستمع الى مواعظه، وكثيراً ما كان يجلس الى جواره، ويفسح الحسن له، فاذا انتهى الحسن من درسه ضرب الحجاج بيده على منكبه تلطفاً واعجاباً وقال[٨٦]: "صدق الشيخ وبر، فعليكم بهذه المجالس . . . فانه بلغني عن رسول الله (ﷺ) أن مجالس الذكر رياض الجنة". ويستطرد الحجاج قائلاً[٨٧]: "نعم الشيخ شيخكم، ونعم المؤدب مؤدبكم، ولولا الرعية وهذه البلية لأحببت مشاهدة شيخكم". وإذا ما أراد الحجاج الانصراف أوصى الحسن أن لا يحمل مريديه على المَلَل. فيجيبه الحجاج: أصلحك الله أيها الأمير، فانه لم يبق إلا من لا حاجة له[٨٨].

وذكر محمد بن سعد أن الحجاج طلع على برذون أبيض وحوله الشُرط، فأشرف على مجلس الحسن، وجلس يستمع لمواعظه، فلما فرغ من حديثه أقبل على الحجاج فسايره، فقال الحجاج: "إنَّ هذا الشيخ شيخ مبارك، معظم لحق أهل القبلة، ناصح لأهل الملّة، صاحب سنة واستقامة، ونصيحة للخاصة والعامة، عليكم بهذا الشيخ إذا حضر، ثم فأحضروا مجلسه"[٨٩].

والحقيقة إنَّ لذلك الموقف من (السياسي) تجاه الفقيه ما يبرره، فليس من السياسة في شيء أن يقطع السياسي حبال الوصل مع فقيه بوزن الحسن الذي كان خير معين للدولة الأموية

وللحجاج، بوصفه (أي الحسن) صوت الدولة عند العامة، وصوت العامة عند الدولة. وقد أظهرت حركة ابن الأشعث وغيرها من الحركات أهمية دور الحسن في حماية الدولة من القلاقل والفتن. ولنتأمل في هذا الموقف من الحسن تجاه الدولة آنذاك، إذ جاءه جمع من القراء يسألونه: "يا أبا سعيد ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام . . . فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه، فإنها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم"(٩٠).

وفي لحظة من التألق والوعي الفكري يطمح الحسن بإصلاح القاعدة والانطلاق صوب إصلاح هرم السلطة فيرشد الناس ناصحاً: اتقوا الله وتوبوا اليه يكفيكم جوره واعلموا أن عند الله حجاجين كثر(٩١). وهو بذلك يقدم المنهج الاصلاحي خياراً للتغيير بدلاً من المنهج الثوري.

مما لا شك فيه أن الحسن البصري بمواقفه تلك لم يكن مداهناً للسلطة، إنما هو ينطلق من نظرة شمولية لواقع الحال، فاذا كان السياسي يحصر همه وطموحه في صيانة النظام وهيبة الدولة وتوطيد الأمور، فان الفقيه يتخطى ذلك الطموح في نظرته وتفكيره، فهو يؤسس لوحدة الأمة برعيتها وأمصارها بعيداً عن نوابت الشر والإحن. امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾ (٩٢).

ولعل شمولية النظرة وصدق النوايا لدى الفقيه هي التي حملت السياسي على إدامة الوصل والود مع الفقيه. يذكر الحسن أن الحجاج سأله عن يوم مولده فأنبأه انه لسنتين من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيثني عليه الحجاج بقوله(٩٣): "والله لعينك أكبر من أمدك". وإذا ما سئل الحجاج عن أخطب الناس في ولايته قال(٩٤): "صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة، إذا شاء خطب، وإذا شاء سكت" يعني الحسن.

وتأكيداً لحالة الانسجام بين الرجلين روى عامر الشعبي أنه قدم على الحجاج من البصرة ومعه جمع من أبناء المهاجرين والأنصار، وحضر الحسن البصري متأخراً عنهم، ثم دعا له الحجاج بكرسي وأجلسه جنب سريره. ثم نادى جاريته فجاءت بدهن حتى وضعته على رأس الحسن. ولم يصنع الحجاج ذلك مع غيره، فقال الحجاج للحسن: "مالي أراك منهوك الجسم، لعل ذلك من سوء ولاية، وقلة نفقة، ألا نأمر لك بخادم لطيف ونفقة توسع بها على نفسك؟ فقال: إني من الله لفي سعةٍ، و إنَّ علي من الله نعمة، ولكن الكبر والحر"(٩٥).

ولم يضيع الحسن فرصة الوئام بينه وبين الحجاج ليصدح بقول الحق وهو متحصن خلف آيات الذكر الحكيم. سأله الحجاج: يا أبا سعيد ما تقول في علي وعثمان فأجابه أقول(٩٦): قول من هو خير مني عند من هو شرٌ منك، قال فرعون لموسى: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى قَالَ

عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾[٩٧]. فقال الحجاج: "أنت سيد العلماء يا أبا سعيد ودعا له بغاليه"[٩٨].

٣- مواطن الاختلاف بين الطرفين:

أوردت المصادر روايات عديدة تصور العلاقة بين الرجلين وكأنهما من المحال أن يلتقيا على ود أو يتفقا على عهد، وقدمت صورة قاتمة عن علاقتهما لا تخلو من المبالغة والزيادة. صحيح أن الحسن اختلف مع الحجاج كثيراً، وجرى بينهما مواقف وصفها اليافعي بالوقعات العظيمة[٩٩]، واجهه فيها بالقول الفصل والاسلوب الجزل، ولم يجرؤ أحد أن يرد على الحجاج مثل ما ردّ عليه الحسن في مناظراته له[١٠٠]. لكن ما جرى بينهما قد لا يرقى الى مستوى العداوة والبغضاء، إلا في السنوات الأخيرة من حكم الحجاج، إن لم تكن تلك الروايات قد زيدت عليها شيئاً من المبالغة والتضخيم من خصوم الأمويين.

والمتأمل في طبيعة الأوضاع السياسية التي سادت العراق إبان تولية الحجاج يدرك بيسر الدوافع التي حملته على أخذ الناس بالشدة والغلظة، فبعد وفاة الوالي بشر بن مروان سنة ٧٤هـ/٦٩٣م أصبح العراق يشكل خطراً كبيراً على الدولة الأموية، إذ تجمع الخوارج بالأحواز، وازداد أعداد الهاربين والمتخلفين عن جيش المهلب بن أبي صفرة المتواجد في (رامهرمز)[١٠١] لمقاتلتهم. وأصبح تقاعس بعض أهل العراق عن الحرب مشكلة حقيقية تواجه الولاة الأمويين، ومما يزيد من هذا التقاعس موقف بعض الفقهاء من هذه الحرب[١٠٢]، ومنهم الحسن البصري، إذ جاءه رجل يستفتيه قائلاً له[١٠٣]: " يا أبا سعيد إن هؤلاء استنفرونى لأقاتل الخوارج فما ترى؟ فقال: إن هؤلاء أخرجتهم ذنوب هؤلاء، وأن هؤلاء يرسلونك تقاتل ذنوبهم، فلا تكن القتيل منهم، فإن القوم أهل خصومة يوم القيامة".

لهذا انتدب الخليفة عبد الملك بن مروان الحجاج خصيصاً لهذه المهمة، وقد بين له الكيفية التي يسوس بها العراقيين، فكتب له كتابا يوصيه بذلك قال فيه[١٠٤]: "أما بعد يا حجاج فقد وليتك العِراقَيْن صدقة، فإذا قدمت الكوفة فطأها وطأة يتضاءل منها أهل البصرة" . وهو بهذا يذكره أن أمر العراق لا يستقيم له حال إلا بسياسة حازمة قوية[١٠٥]. ويبدو أن هذه الوصية وجدت في شخصية الحجاج ما يناسبها، فهو يؤمن ايماناً مطلقاً أن سياسة اللين تفسد الناس، وإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، لذا نجده يكتب الى الخليفة عبد الملك كتاباً يقول فيه[١٠٦]: "الناس عبيد العصا، هم على الشدة أشد استباقا منهم على اللين"، وتلك فلسفته في الحكم وسياسة الرعية.

قُدّر للحسن أن يرى الحجاج يوم مقدمه الى العراق والياً، ويبدو أنه كان أحد أعيان البصرة الذين أُحضِروا لاستقبال الأمير الجديد، وسمع الحسن خطبة الحجاج التي توعد بها أهل العراق، وقد أنبأ الحسن بذلك قائلاً[١٠٧]: "أتانا أُعيمش[١٠٨] أُخيفش[١٠٩] له جميمة[١١٠] يرجلها، وأخرج لنا بناناً قصاراً، والله ما عرق فيها عنان في سبيل الله. فقال: بايعوني فبايعناه، ثم رقى هذه الأعواد، ينظر الينا بالتصغير، وننظر اليه بالتعظيم، يأمرنا بالمعروف ويجتنبه، وينهانا عن المنكر ويرتكبه".

أدرك الحسن(الفقيه) وهو يستمع الى خطبة الحجاج (السياسي) أن الرجل جاء ليوطد الأمور حتى لو تطلب ذلك وضع السيف في الرقاب، وأن الخلاف بينهما واقع لا محال، ولا سيما بعد أن أعلن الحجاج أمام الملأ قائلاً[١١١]: "سوطي سيفي، ونجاده في عنقي، وقائمه في يدي، وذبابه قلادة لمن اغترني. فقال الحسن: بؤساً لهذا ما أغرّه بالله". ويستطرد الحسن وهو يحتج على سياسة الوالي الجديد قائلاً[١١٢]:" ما زال النفاق مقموعاً حتى عُمم هذا عمامة وقُلد سيفاً".

كان الحسن يأمل أن يكون السياسي أو الوالي الجديد كما كان عليه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديد في الحق شفيق بالخلق، لذا نجده يعقب على خطبة الحجاج قائلاً[١١٣]: "لله در أهل الحق، كانت دِرّة عمر أهيب من سيف الحجاج".

أدرك الحجاج مبكراً مكانة الحسن وتأثيره الكبير على الناس، لهذا استدعاه ليحذره من التعرض له ولسياسته منبهاً ايّاه: اياك يا حسن أن تذكر السلطان بسوء، فأنهم ظل الله في الأرض. فيرد عليه الحسن[١١٤]: "أصلحك الله هكذا بلغني عن رسول الله ﷺ قال: وقروا السلاطين وأجلّوهم فأنهم عز الله في الأرض، من نصحهم اهتدى، ومن غشهم غوى إذا كانوا عدولاً. قال الحجاج: لا والله ما فيه إذا كانوا عدولاً ولكنك زدت يا حسن"[١١٥].

وهنا تبرز مسألة العدل مرة أخرى كأحد معايير العلاقة بين الطرفين. فالحسن لم ينظر الى الحجاج على انه كافر، إنما كان حكمه فيه أنه ممن نالت منهم الدنيا فركنوا اليها، وأسرف في القسوة مع الرعية. ولو حكم عليه بالكفر لأفتى بالثورة والخروج عليه[١١٦].

وعلى الرغم من عدم افتاء الحسن بالخروج على الحجاج فانه لم يتخلّ عن نقد الأمراء عامة والحجاج خاصة فيقول فيهم: "إنَّ هؤلاء الملوك وإنْ رقصت بهم الهماليج (نوع من البراذين) ووطيء الخلق أعقابهم، فأن ذل المعصية في قلوبهم، إلا إنَّ الله ألزمنا طاعتهم وحرّم الخروج عليهم، وأمرنا أن نَستدفع بطشهم بالتوبة والدعاء"[١١٧].

أما الحجاج فما برح يتتبع أقوال الحسن، ودأب على بث عيونه في مجالسه، وإذا ما بلغه منه تلميحاً بالنقد رَدّ عليه. وذات يوم تناهى الى أسماع الحسن كلاماً من الحجاج يذكره بسوء

فقال الحسن[١١٨]: "علم ما في نفسي له فنطق، وعلمت ما في نفسي فسكتُّ، وكل أُمرءٍ بما كسب رهين".

غير أن حقبة السكوت والتغاضي عن ممارسات الحجاج لم تدم طويلاً، فجرت الحوادث بما لا تهوى الأنفس، واشتدّ الخلاف بين الرجلين، وشهدت الفترة ما بين (٨٦-٩٥هـ / ٧٠٥-٧١٣م) أسوء مراحل العلاقة التي نتج عنها القطيعة بينهما وسعي الحجاج الى قتل الحسن.

ففي سنة (٨٦هـ / ٧٠٥م) فرغ الحجاج من بناء قصره في واسط، وندب الناس لحضور المناسبة، فخرج الحسن مع المدعوين فاجتمع الناس عليه، وحمل على الحجاج الذي تطاول في البنيان واغتر في الدنيا وأنفق المال، وعاد من حيث أتى وهو يقول[١١٩]: "يا أخبث الأخبثين وأفسق الأفسقين، أما أهل السماء فمقتوك، وأما أهل الأرض فغرّوك". فبلغ ذلك الحجاج فعزم على قتله لولا أن عصمه الله منه.

استمر الحسن يذكر الحجاج بسوء ويجهر بموبقاته للحد الذي أفتى للناس أنْ ليس للسلطان الجائر غيبة[١٢٠] ثم وصفه بأقذع الأوصاف[١٢١]. فأرسل الحجاج اليه محذراً: "امسك لسانك يا حسن، واياك أن يبلغني عنك ما أكره فأفرق بين جسدك ورأسك"[١٢٢].

ولم يمسك الحسن لسانه، وبقيَ يذم الحجاج ومعه الخليفة عبدالملك بن مروان هذه المرة، إذ سئل عن الخليفة عبدالملك بن مروان فقال[١٢٣]: "ما أقول في رجل الحجاج سيئة من سيّئآته؟". ولمّا بلغ الحجاج ذلك أقسم على قتله[١٢٤] فتوارى في منزل صديقه أبي خليفة الحجاج بن عتاب[١٢٥]. فيما الحجاج يستشيط غضباً ولهباً ويقول[١٢٦]: "غلبني علج تواريه أخصاص البصرة".

ويؤكد أيوب السختياني تلميذ الحسن أن شيخه توارى مرات عديدة عن أنظار الحجاج، وان الأخير عزم على قتله مراراً، وفي كل مرة كان يختفي بعيداً عنه ومنها اختفاؤه في بيت علي بن زيد لمدة سنتين[١٢٧].

مكث الحسن طويلاً في منزل صديقه الحجاج بن عتاب، ولم يتردد اليه سوى اثنين من خاصته وهما مالك بن دينار وحُمَيد خادمه[١٢٨]، الذي قال[١٢٩]: "قرأت القرآن كله على الحسن وهو متواري في بيت أبي خليفة ففسره على الاثبات".

في سنة (٩٥هـ/ ٧١٣م) وبينما كان الحسن مختفياً قبض الحجاج على سعيد بن جبير فقتله. فاستعظم الحسن ذلك العمل فقال: "لقد أطفأ من نور الله شيئاً ما أصبح على وجه الأرض مثله"[١٣٠]. "والله لو أن أهل المشرق والمغرب اجتمعوا على قتله لأدخلهم الله النار"[١٣١]. ثم دعا عليه قائلاً: "اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج"[١٣٢].

لم يبق الحجاج بعدها سوى ثلاث من الأيام[١٣٣]، فمرض مرضه الأخير فبعث الى الحسن وأُحضر بين يديه، فاعتذر له، وشكى له ما نزل به من وجع فقال له الحسن: "قد نهيتك مرةً بعد أخرى، لا تتعرض للصالحين، ولا تكن منهم إلا بسبيل خير، فأبيت ولججت ليقضي الله امراً كان مفعولاً".

ثم مات الحجاج من ساعتها[١٣٤]، ولم يخلف بعد موته سوى ثلاثمئة درهم ومصحفاً وسيفاً وسرجاً ورحلاً[١٣٥]، روى الأصمعي أنه لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول[١٣٦]:

يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا بأنني رجل من ساكني النار

أيحلفون على عمياء ويحهم ما علمهم بعظيم العفو غفار

قال الحسن: بالله إن نجا لينجون بهما.

عند موت الحجاج سجد الحسن لله، ولم يكن سجوده سجود الشامتين، فليس ذلك من شيم العارفين أو مرؤة العابدين إنما هو سجود من وقع الموت قريباً منه فتحرك الخوف في نفسه لِما رأى، وهو يقرأ قوله تعالى ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[١٣٧] ثم دعا الله تعالى أن يميت سنته في الحكم والظلم[١٣٨].

ولم يحضر أحد من علماء العراق جنازته سوى الحسن البصري الذي صلى عليه صلاة الجنازة. ووراه الثرى مع من حضر من ذريته ومقربيه ثم انصرف عائداً الى بيته. فجاء الناس يعاتبونه على ما قام به مع أمير قتل من الصحابة عبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم وجمع من العابدين فقال الحسن لهم[١٣٩]: "أدركت من أصحاب محمد ﷺ ثلاثمائة رجل، منهم سبعون بدرياً، كلهم يأمرون أن نصلي على بار هذه الأمة وفاجرها، فان كان محسناً دعونا الله له بالزيادة، وإن كان مسيئاً دعونا الله له".

وهكذا انتهت الاشكالية الجدلية بين رجلين يتفقان مرة ويختلفان أخرى، وأصبحا مثالاً للعلاقة بين الفقيه والسياسي في نهاية القرن الأول الهجري، كل منهم يتمسك برأيه، لكن من المؤكد أن تلك الاشكالية وما يماثلها ستبقى قائمة حتى يحقق السياسي طموح الفقيه في إقامة شرع الله وعدله، أو يسلك الساسة مسلك الفقهاء فلا يُحلوا حراماً ولا يُحرموا حلالاً كما كان ساسة عصر الإسلام الأول برجاله الراشدين.

ثالثاً: الفقيه والسياسي ما بين الأمس واليوم:

مما لا شك فيه أن الاشكالية التي كانت تحكم علاقة الفقيه بالسياسي عقب انقضاء القرن الأول الهجري وما بعده ستبقى قائمة في العصر الحاضر وفي المستقبل، إذا ما استثنينا علماء السلطان من المشهد. وفي أدناه قراءة للعلاقة بين الطرفين ما بين الأمس واليوم وطبيعتها:

١- لم يكن الخلاف بين الفقيه والسياسي مدفوعا بمواقف شخصية بل كان لكل طرف غاياته، فالفقيه يسعى الى إشاعة المبادئ الإسلامية في السياسة والحكم ويأتي في مقدمة تلك المبادئ المشاورة والعدل وصيانة الأمانة. أما السياسي فكان جل اهتمامه بسط سلطة الدولة على الأمصار حتى وإن تطلب الآمر إراقة الدماء وإشاعة الظلم عند كبح جماح المخالفين لسياسة الدولة وطريقة تصريف الأمور فيها. ولعله (أي السياسي) كان يلتمس الأعذار لنفسه متذرعاً بمقارعة أصحاب الفتن في الداخل والتصدي لأهل الكفر في الخارج.

٢- ولأن الفقهاء هم ورثة الأنبياء كان لزاماً عليهم تبيان وجه السياسة الحقة للراعي أمام الرعية، الآمر الذي يجعل من الفقيه بمثابة (الرقيب) على أداء السياسي، والناطق جهاراً بمخالفات السياسي براً بالميثاق الذي أخذه الله تعالى على الفقهاء.

٣- ما برح الفقيه يتخذ من العصر الراشدي وتطبيقاته في السياسة والحكم معياراً لتقويم شرعية السياسي وطريقة تصريفه شؤون البلاد والعباد. ومن المؤكد أن أول ما يحضر الى ذاكرة الفقيه وهو يتعامل مع السياسي هو المرجعية السياسية التي يستمد منها الوالي أو الأمير شرعيته، وهل أنها (أي المرجعية) أوصلته الى سدة الحكم عن طريق الشورى أم بالتغلب؟ وإذا ما أراد الفقيه قبول التغلب والتسليم بالأمر الواقع فإنه لن يساوم على العدل بين الرعية والقسمة بينهم بالسوية. وما عدا ذلك فهو متروك لاجتهادات الساسة في ما يتعلق بالجوانب الإدارية التي لم يرد فيها نص شرعي ملزم.

٤- لما كانت الأمة في الفكر السياسي الإسلامي هي مصدر السلطات وهي صاحبة الحق في اختيار إمامها أو سائسها، فقد كانت شريحة الفقهاء في طليعة الأمة، ولها حق الاعتراض وابداء الرأي في أداء الحاكم، ومن يمتلك حق التولية له الحق في العزل، لهذا تمسك الفقهاء بالثوابت الإسلامية فيما تَحَسّبَ الساسة لكل ما يقوله الفقهاء، وكان من نتيجة ذلك أن اهتزت ثقة السياسي بالفقيه نوعاً ما، فأسس علاقته معه على الشك والريبة أحياناً.

٥- سعى بعض الساسة الى كسب ود العلماء (الفقهاء) ليكونوا عوناً لهم في ضبط الأمور لمكانتهم المميزة لدى العامة والخاصة. وقد كان العلماء يتسابقون لصيانة وحدة الأمة ودفع الفتن عنها، ولم يترددوا في قبول دعوة السياسي لهم في درء المفاسد، وعلى الرغم من ذلك فان عصور الإسلام الأولى لم تشهد ولادة ما يمكن تسميته الآن بـ (علماء السلطان)، بل على العكس من ذلك تماما فقد تنافس الفقهاء فيما بينهم كل يبتغي العزة

بالإسلام حتى أصبح كثير منهم يسمى (سلطان العلماء) وتلك مَزّية طبعت سلوك ومنهج علماء ذلك العصر.

٦- من المؤكد أن فقهاء اليوم في عالمنا الإسلامي ما كانوا ليقفوا بالضد من سياسات بعض حكامهم لو أنهم وجدوا فيهم ما يمثل الحد الأدنى من طموحات الفقهاء والمتمثلة في إشاعة الروح الإسلامية في السياسة والحكم، إذ كان من الطبيعي أن يراعي الفقيه تبدل الأحوال وحاجات الزمن وتقلباته.

إن ما نشهده اليوم من تخلي بعض المحسوبين على علماء الإسلام من فقهاء السلطان عن دورهم الذي علقته الشريعة في أعناقهم وموافقتهم للساسة في كل خطواتهم وحتى على موبقاتهم لا يمكن عدّه عيباً على الإسلام وأهله، إنما العيب والإثم على من ارتضى لنفسه أن يكون للظالمين ظهيراً تحقيقاً لمنافع شخصية زائلة. وسيذكر التاريخ الفقهاء المتمسكين بالحق ولم يرتضوا أن يداهنوا على حساب دينهم وعقيدتهم وشتان ما بين الصنفين من الفقهاء.

الخاتمة:

تميز عهد الحجاج ولاسيما أثناء ولايته للعراق بأهمية كبيرة حملت بعض المؤرخين على كيل الاتهامات له، حتى إذا ما ذكر اسمه ذكر معه السيف والنطع، بيد أن حيادية المؤرخ تقتضي التروي في اصدار الأحكام بشأنه أو بشأن غيره. ولعل من موجبات الباحث المحايد استحضار النظرة الشمولية لحوادث التاريخ ووقائعه، ومنها أن تاريخ الأمويين عامة والحجاج خاصة كان قد كتب في زمن خصومهم بني العباس، لهذا بالغت المصادر كثيراً في سرد عيوب الحجاج ومثالبه وتناست مناقبه، وقد ساهم الحجاج نفسه على تقديم تلك الصورة الدموية لعهدة بسبب غلظته وقسوته. وبهذا الصدد لا ننسى أعداء الحجاج وخصومه في الترويج لتلك الصورة بدءاً من الزبيريين الذين قضى على حركتهم في الحجاز والعراق، مروراً بالمهالبة حينما عزل زعيمهم يزيد بن المهلب عن خراسان، و انتهاءً بالخوارج الذين تلقوا الضربات الموجعة على يديه. كل ذلك سهل من قبول كل ما يقال عنه. فضلاً عن ذلك فإن أغلب الروايات الناقمة على الحجاج وردت على لسان من طوَّعهم بالقوة من أعداء الأمويين.

نعم لقد سجن الحجاج وقتل الكثير من الناس، لكن ذلك ما كان بدافع الانتقام الشخصي، إنما كان يستهدف الخارجين والمتآمرين على الدولة وأشباههم، ممن نكثوا البيعة وعرَّضوا وحدة الدولة للخطر، وكان الحجاج ملزماً بقتالهم بوصفه وال شرعي في عنقه بيعة للخليفة. وربما طال الأبرياء بالشبهة والظن، و لما كان في﴿ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (الحجرات: ١٢) فقد وقف الحسن مخالفاً ومعارضاً لتلك السياسية. ذلك ان من أخص واجبات الوالي في الإسلام هي المحافظة على الأنفس، وإذا ما أهمل الوالي ذلك الواجب الشرعي جاء دور الفقيه. إذ أخذ الله على الفقهاء من المواثيق ليبيننه (أي الحق) للناس ولا يكتمونه، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن موقف الحسن (الفقيه) من الحجاج (السياسي) لم يكن موقفاً شخصياً إنما كان موقفاً شرعياً فرضته ثوابت ومبادئ الفكر السياسي الإسلامي. لهذا نجده يتقلب ما بين الموالاة والمخالفة في ضوء سيرة الوالي وسياساته.

هوامش البحث:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

(١) الجابري، محمد عابد، المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت ٢٠٠٠م) ص٣٩.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم الحراني (ت ٧٢٨هـ) مجموع الفتاوى، ط٢، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد العاصمي، مكتبة ابن تيمية، (د. م د.ت) ٥٥١/١١.

(٣) البدري، عبدالعزيز، الإسلام بين العلماء والحكام، المكتبة العلمية (المدينة المنورة د.ت) ص١٣.

(٤) جب، هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام، ط٣، تحرير: ستانفورد شو و وليم يولك، تعريب: احسان عباس وآخرون دار العلم للملايين (بيروت ١٩٧٩م) ص١٨٦.

(٥) الغزالي، أبو حامد محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة (بيروت د.ت) ٣٤٦/٢.

(٦) آل عمران: ١٨٧.

(٧) محمد حلمي عبدالوهاب، (الحسن البصري وموقفه من أزمة السلطة في عصره)، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١١٩٧٠ في ٢٠١١/٩/٦م، ص ٦.

(٨) خير الدين يوجه سوي، تطور الفكر السياسي عند أهل السنة فترة التكوين من بدايته حتى الثلث الأول من القرن الرابع الهجري (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، تموز ١٩٩٠م) ص١٦٥.

(٩) أبو زهره، محمد، الإمام زيد حياته وعصره، آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي (القاهرة د.ت) ص١٠١.

(١٠) عطوان، حسين، الفقهاء والخلافة في العصر الأموي، دار الجيل (بيروت ١٩٩١م) ص٦٤.

(١١) في النظام السياسي للدولة الإسلامية، ط٢، دار الشروق (القاهرة ٢٠١٢م) ص٢٢٥.

(١٢) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم الحراني (ت ٧٢٨ هـ) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة (بيروت ١٩٨٣م) ص٣٨.

(١٣) منطقة قريبة من الكوفة تقع على بعد سبع فراسخ من طرف البر للسالك الى البصرة. ياقوت، أبو عبدالله شهاب الدين الحموي (ت٦٢٦هـ) معجم البلدان، تحقيق: صلاح سالم المصراتي، دار الفكر(بيروت ١٩٩٨) ٥٠٣/٢.

(١٤) هو سعيد بن جبير بن هشام، مولى بني والبه، من كبار الفقهاء العابدين، روى عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم. كان يحج في السنة مره ويعتمر مره، قتله الحجاج سنه (٩٥هـ) بعد خروجه مع ابن الأشعث. ابن حبان، ابو حاتم محمد البستي (ت٣٥٤هـ) الثقاة في الصحابة والتابعين واتباع التابعين، تحقيق: شرف الدين احمد، دار الفكر، (د. م ١٩٧٥م) ٢٧٥/٤.

(١٥) ابن سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد البصري (ت ٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى، ط٢، تحقيق: زياد محمد منصور، دار صادر (بيروت د.ت) ٢٦٥/٦.

(١٦) خليفة بن خياط، أبو عمر خليفه العصفري (ت ٢٤٠هـ) تاريخ خليفة بن خياط، ط٢، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم (دمشق ١٣٩٧هـ)، ص٢٨٧.

(١٧) ابن سعد، الطبقات، ٢٤٩/٦.

(١٨) خليفة بن خياط، تاريخ، ص٢٨٦،٢٨٧.

(١٩) أبو بكر الخلال، أحمد بن محمد بن هارون (ت ٣١١هـ) السنة، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية (الرياض ١٩٨٩م) ٥١٩/٣.

(٢٠) الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري (ت٥٢٠هـ) سراج الملوك، دار صادر (بيروت ١٩٩٥م) ص١٩٤.

(٢١) المصدر نفسه، ص١٠٤.

(٢٢) الغزالي، إحياء، ١٦٠/٢.

(٢٣) سبط ابن الجوزي، يوسف بن قز أوغلي بن عبدالله الحنبلي (ت ٦٥٤هـ) الجليس الصالح والأنيس الناجح، تحقيق: أحمد العيسوي، دار الصحابة للتراث (طنطا ١٩٩١م) ص٢٢٤.

(٢٤) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ) أُسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي(بيروت ١٩٩٦م) ٥٤٠/٢.

(٢٥) أبو العرب، محمد بن أحمد التميمي (ت ٣٣٢هـ) المحن، تحقيق: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم (الرياض ١٩٨٤م) ص٢٣٩.

(٢٦) المصدر نفسه، ص٣٢٣.

(٢٧) ابن حبان، الثقاة، ٢٧٥/٤.

(٢٨) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ) عيون الأخبار، ج١، دار الكتب المصرية (القاهرة ١٩٢٤م) ٣٢٩/١.

(٢٩) ابن سعد ، الطبقات، ٥٤٠/٥.

(٣٠) الجومرد، محمود، الحجاج رجل الدولة المفترى عليه، وزارة الثقافة والإعلام (بغداد ١٩٨٥م) ؛ زيادة، محمود، الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة (مصر ٢٠٠٥م).

(٣١) عطوان، الفقهاء، ص١٢.

(٣٢) ابو الفداء عماد الدين اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، مكتبة المعارف (بيروت د.ت) ٨٧/٩.

(٣٣) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين الشافعي (ت٥٧١هـ) تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محي الدين أبي سعد عمر بن غرامه العمروي، دار الفكر (بيروت ١٩٩٥م) ١٩٢/١٢.

(٣٤) لما كان مولد الحسن سنة (٢١هـ) ومَقدم الحجاج الى العراق سنة (٧٥هـ) فيكون عمر الحسن وقتها (٥٤ سنة).

(٣٥) الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين (ت ٤٣٦هـ) آمالي السيد المرتضى، تعليق: محمد بدر الدين الحلي، مطبعة السعادة (مصر ١٩٠٧م) ١٠٨/١.

[٣٦] محمد حلمي عبدالوهاب، الحسن البصري، ص ٦.

[٣٧] ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله القرطبي (ت ٤٦٣هـ) بهجة المجالس وأُنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، ط٢، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية (بيروت د.ت). مج٢، ق١، ص٧٠.

[٣٨] المروزي، عبد الله بن المبارك بن واضح (ت ١٨١هـ) الزهد، تحقيق: حبيب عبد الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، (بيروت د.ت) ١٣/١.

[٣٩] ابن حزم، الإمام أبو محمد علي بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي (القاهرة د.ت) ٧٢/٤.

[٤٠] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ) تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، تحقيق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية (بيروت ١٩٨١) ص ١٥٣-١٥٥.

[٤١] احسان عباس، الحسن البصري، سيرته، شخصيته، تعاليمه، وآراءه، مطبعة الاعتماد (مصر د.ت) ص٤٣.

[٤٢] محمد حلمي عبدالوهاب، الحسن البصري، ص ٦.

[٤٣] احسان عباس، الحسن البصري، ص٤٣.

[٤٤] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطيوي، دار صعب (بيروت د.ت) ٤٦٨/١.

[٤٥] ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) العقد الفريد، ط٣، دار إحياء التراث العربي (بيروت ١٩٩٩م) ١٨٥/٢.

[٤٦] أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت ٤١٤هـ) البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر (بيروت د.ت) ٥٩/١.

[٤٧] استمد قوله من القرآن الكريم، سورة الشعراء: ١٢٨-١٣٠.

[٤٨] القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب (القاهرة د.ت) ١٩١/٦.

[٤٩] القرآن والسلطان، ط٤، دار الشروق (القاهرة ١٩٩٩م) ص٢٤.

[٥٠] عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي(ت ٨٠٨هـ) المقدمة، دار العودة(بيروت١٩٨١م)ص٢٢٧.

[٥١] الغزالي، إحياء، ٣٢٩/٣.

[٥٢] ابن قتيبة، عيون، ٢/١.

[٥٣] تسهيل النظر، ص ١٥٠.

[٥٤] الشريف المرتضى، آمالي، ١٠٨/١.

[٥٥] البغدادي، أبو منصور عبد القادر بن طاهر (ت٤٢٩هـ) الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الطلائع (القاهرة ٢٠٠٥م) ص٢٠.

(٥٦) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: إحسان حقي، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤٠٧هـ) ٨٠/٤.

(٥٧) الطبقات،١٦٤/٧.

(٥٨) اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن (ت٤١٨هـ) شرح أُصول اعتقاد أهل السنة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة (الرياض ١٤٠٢هـ) ١٣٨١/٨.

(٥٩) البقرة: ١٤٣.

(٦٠) عمارة، محمد، تيارات الفكر الإسلامي، ط٢، دار الشروق (القاهرة ١٩٩٧م) ص٤٤.

(٦١) المرجع والصفحة نفسها.

(٦٢) القاضي عبدالجبار، أبو الحسن عماد الدين بن أحمد (٤١٥هـ) فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين، تحقيق: فؤاد السيد، الدار التونسية للنشر (تونس ١٩٧٤م) ص٢٢٩.

(63) J.obermann. " Theology in early Islam: Hasan Al-Basris treatise on qadar "journal of the American oriental society, Vol. 55 no. 2, (jun 1935) P.147.

(٦٤) أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ) المعارف، ط٤، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف (القاهرة د.ت) ص٤٤١.

(٦٥) البلخي، ابو القاسم عبدالله بن أحمد (ت٣١٩هـ)، باب ذكر المعتزلة من كتاب مقالات الاسلاميين ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص٨٧.

(٦٦) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم (ت ٥٤٨هـ) الملل والنحل، ط٧، تحقيق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية (بيروت ٢٠٠٧م) ٤٢/١.

(٦٧) محمد حلمي عبدالوهاب، الحسن البصري، ص٦.

(٦٨) ابن سعد، الطبقات، ١٧٦/٧.

(٦٩) ابن الجوزي، ابو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) الحسن البصري، آدابه، حكمه، نشأته، حياته، بلاغته، زهده، طريقته، المطبعة الرحمانية (مصر ١٩٣١م) ص٥٠.

(٧٠) الغزالي، إحياء، ١٦٠/٣.

(٧١) ابن النديم، ابو الفرج محمد بن اسحاق (ت ٣٨٣هـ) الفهرست، دار المعرفة (بيروت ١٩٧٨م) ص٥٦.

(٧٢) ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي (ت٧٤١هـ) التسهيل لعلوم التنزيل، ط٤، دار الكتاب العربي(لبنان ١٩٨٣م) ٤/١.

(٧٣) ابن كثير، البداية، ١١٩/٩.

(٧٤) القرطبي، الجامع، ٢٢٦/١٦.

(٧٥) محمد: ٤.

(٧٦) القرطبي، الجامع، ٢٢٦/١٦.

(٧٧) طه، عبد الواحد ذنون، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ط ٢، الدار العربية للموسوعات (بيروت ٢٠٠٥م) ص ١٠.

(٧٨) البداية، ١١٩/٩، ١٣٨.

(٧٩) وكيع، محمد بن خلف بن حبان (ت ٣٠٦هـ) أخبار القضاة، عالم الكتب، (بيروت د.ت) ٦٦/٢.

(٨٠) ابن عبد ربه، العقد، ١٠٨/٤.

(٨١) ابن كثير، البداية، ١٢٧/٩.

(٨٢) هود: ٨٨.

(٨٣) الجاحظ، البيان، ٣٠٩/١.

(٨٤) ابن الجوزي، الحسن البصري، ص٥٨.

(٨٥) المصدر نفسه، ص٤٠.

(٨٦) الغزالي، إحياء، ٣٢٩/٣.

(٨٧) ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: مصطفى عبدالقادر أغا، دار صادر (بيروت ١٣٥٨هـ) ٣٤٠/٦.

(٨٨) الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر بن عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت ١٩٨٧م) ٣٢٠/٦.

(٨٩) سبط ابن الجوزي، الجليس، ص٢٢٤.

(٩٠) ابن سعد، الطبقات، ١٦٣/٧.

(٩١) الجاحظ، البيان، ٤٦٨/١.

(٩٢) آل عمران: ١٠٣.

(٩٣) ابن سعد، الطبقات، ١٥٧/٧.

(٩٤) الجاحظ، البيان، ٢٠٧/١.

(٩٥) سبط بن الجوزي، الجليس، ص٢٣٧.

(٩٦) الشريف المرتضى، آمالي، ١١٢/١ ؛ ابن المرتضى، أحمد بن يحيى (ت ٨٤٠هـ) باب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل، تصحيح: توماس آرنولد، حيدر آباد (الدكن ١٣١٦هـ) ص١٤.

(٩٧) طه: ٥١-٥٢.

(٩٨) الغالية: ضرب من الطيب. ابن منظور، محمد بن كرم (ت٧١١هـ) لسان العرب، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، دار صادر (بيروت د.ت) ٢٧١/٩.

(٩٩) أبو محمد عبدالله بن أسعد (ت٧٦٨هـ) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة ١٩٩٣م) ٢٣١/١.

(١٠٠) ابن المرتضى، المنية، ١٠٨/١.

(١٠١) كلمة مركبة وتعني بالفارسية مراد هرمز، وهي من مدن خوزستان المشهورة، عرفت بكثرة أشجار النخيل والجوز. ياقوت، معجم البلدان، ١٧/٣.

(١٠٢) للمزيد ينظر: طه، العراق في عهد الحجاج، ص ٦١ وما بعدها.

(١٠٣) الملطي، أبو الحسين محمد بن أحمد الشافعي (ت ٣٧٧هـ) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث (مصر ١٩٩٧م) ص ١٨١.

(١٠٤) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح (ت ٢٩٢هـ) تاريخ اليعقوبي، دار صادر (بيروت د.ت) ٢٧٣/٢.

(١٠٥) طه، العراق في عهد الحجاج، ص ٦٧.

(١٠٦) ابن عبد ربه، العقد، ٣٦/٥.

(١٠٧) ابن المرتضى، المنية، ١٠٨/١.

(١٠٨) أُعيمش: تصغير أعمش. والأعمش هو الشخص ضعيف رؤيا العين مع سيلان دمعها. ابن منظور، لسان، ٣٢٠/٦.

(١٠٩) أُخيفش: من الخفاش وهو طائر الليل الذي يبصر الأشياء ليلاً ولا يراها نهاراً. المصدر نفسه، ٢٩٩/٦.

(١١٠) جميمة: تصغير للجمة وهي مجتمع شعر الرأس. المصدر نفسه، ١٠٨/١٢.

(١١١) ابن عبد ربه، العقد، ١١٤/٤.

(١١٢) الشريف، المرتضى، آمالي، ١١٢/١.

(١١٣) ابن الجوزي، الحسن البصري، ص٣٦.

(١١٤) ابن عساكر، تاريخ، ١٧٦/١٢.

(١١٥) لم أجد الحديث في كتب الصحاح.

(١١٦) محمد حلمي عبدالوهاب، الحسن البصري، ص ٦.

(١١٧) الجاحظ، البيان، ٤٧٠/١.

(١١٨) الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم (بيروت ١٩٩٩م) ٤٧١/١.

(١١٩) الشريف المرتضى، آمالي، ١١١/١.

(١٢٠) المصدر نفسه مع الجزء والصفحة.

(١٢١) ابن الأثير الجزري، أبو السعادات المبارك مجد الدين بن محمد (ت ٦٠٦هـ) النهاية في غريب الأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، المكتبة العلمية (بيروت ١٩٧٩م) ٢٦٦/٥.

(١٢٢) الغزالي، إحياء، ٣٤٦/٢.

(١٢٣) ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ) تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية (بيروت ١٩٩٦م) ١٧٠/١.

(١٢٤) ابو العرب، المحن، ص٢٠٢.

(١٢٥) الأزري، أبو محمد عبدالغني بن سعيد (ت ٤٠٩هـ) المتوارين الذين اختفوا خوفاً من الحجاج بن يوسف الثقفي، تحقيق: مشهور حسن محمود، دار العلم (بيروت ١٤١٠هـ) ص٤٦.

(١٢٦) القاضي عبدالجبار، فضل الاعتزال، ص٢٢٤.

(١٢٧) الذهبي، تاريخ، ٣٢٢/٦.

(١٢٨) الأزدي، المتوارين، ص٤٦.

(١٢٩) المصدر والصفحة نفسها.

(١٣٠) أبو بكر الدينوري، أحمد بن مروان بن محمد (ت ٣٣٣هـ) المجالسة وجواهر العلم، دار ابن حزم (بيروت ٢٠٠٢م) ص٣٩٨.

(١٣١) ابن المرتضى، المنية، ص١٥.

(١٣٢) سبط ابن الجوزي، الجليس، ص١٠٩.

(١٣٣) المصدر والصفحة نفسها.

(١٣٤) ابو العرب، المحن، ص٢٤٣.

(١٣٥) الصفدي، صلاح الدين بن خليل بن أيبك، (ت ٧٦٤هـ) الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، (بيروت ٢٠٠٠م) ٢٤١/١١.

(١٣٦) ابن كثير، البداية، ١٣٨/٩.

(١٣٧) الأنعام: ٤٥.

(١٣٨) القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال، ص٢٢٤.

(١٣٩) ابو العرب، المحن، ص٢٤٥.